بقلم
رئيس التحرير

لماذا العهد القديم مهم؟

د.ق. أندريه زكي

رئيسُ الطائفةِ الإنجيليَّةِ بمِصْر

رئيسُ الهيئةِ القبطيَّةِ الإنجيليَّةِ للخدماتِ الاجتماعيَّة

> "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ"
>
> (٢تيموثاوس ٣: ١٦-١٧).

ما أرهب هذه الكلمات التي يكتبها الرسول بولس لتيموثاوس تلميذه؛ فهي تعلمنا كثيرًا عن دور كلمة الله في حياتنا.

هذه الكلمات الخالدة كُتبت قبل زمن ليس بقليل من إقرار قانونية أسفار العهد الجديد، والواضح من قرينة هذه الآيات أن المقصود هو أسفار العهد القديم؛ لأن العهد الجديد كان في طور التكوين آنذاك. وفي حين أن بولس في الآية ١٥ يتحدث عن معرفة تيموثاوس بالكتب المقدسة "الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"، فهو في الآية ١٦ يعلن أن "كل الكتاب"

هو موحى به من الله، بمعنى أن هذه الكتب كلها تؤلف وحدة متكاملة لا تتجزأ لأنها كلها "موحى بها من الله".

ولعل تأكيد الرسول بولس أن الكتب المقدسة قادرة أن تحكِّم الإنسان للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع، يشدد على أن كل الكتاب الذي كُتب بوحي الروح القدس كتب لخلاصنا ليعلمنا عن الله وعن الخلاص الذي يريده للإنسان، وبالتوبيخ للوعي بالخطية التي تبعد الإنسان عن الله... وكل هذه الخطوات والأدوار هي مسيرة التشكيل الذي تجريه كلمة الله في داخلنا.

من هذا المنطلق أود أن أشير إلى الأهمية التي تحظى بها أسفار العهد القديم في إيماننا المسيحي. ولقد قاومت الكنيسة منذ نشأتها أي فكر غريب تجرأ على إنكار أهمية أسفار العهد القديم، بدءًا من محاولات ماركيون أو مارسيون Marcion، ابن أسقف سينوب بآسيا الصغرى، والذي كان أحد أتباع الغنوصية في القرن الثاني الميلادي؛ إذ علم أن العهدين القديم والجديد متناقضان وأن إله العهد القديم كان إلهًا قاسيًا وغير محب، وأن العهد القديم يرسخ لديانة تقوم على الناموس والبر الذاتي ورأى على النقيض من ذلك أن العهد الجديد يعلم ديانة مختلفة من النعمة والإيمان والحرية. وبالطبع واجه آباء الكنيسة الباكرة هذا المهرطق الأول والأبرز في نظر الكنيسة الباكرة.

ورغم قدم قصة ماركيون هذا إلا أن عبر التاريخ الطويل ظهرت بعض الآراء التي أغفلت أهمية العهد القديم في إيماننا المسيحي.

لكن من يقرأ الكتاب المقدس جيدًا لا بد أن يدرك أنه وحي الله وأنفاس الله، وأن إله العهد القديم وإله العهد الجديد هما الإله نفسه. ومن يتبع شخص المسيح حقًّا فسيجد فيه تحقيق نبوات العهد القديم، وأن السيد المسيح نفسه أكد أن فيه تتحقق كل النبوات؛ ففي إنجيل لوقا ٤: ١٨ يقرأ السيد المسيح نبوة إشعياء النبي:

"رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ...".

ويؤكد للحضور بعد قراءته أن "الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ" (آية ٢١). ويعود السيد المسيح في موقف آخر ليؤكد "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (متى ٥: ١٧-١٨). فهو لم يأتِ لينقض العهد القديم بل ليتمِّمه

ولا يمكن أمام هذه التأكيدات أن نهمل أو نتغاضى عن وحي اللّٰه في العهد القديم، الذي قرأه المسيح بذاته، واقتبس كلماته ليشير بها إلى شخصه وعمله، والذي يشير بكل كلماته لعمل المسيح الفادي، وخطة اللّٰه لخلاص البشرية، وهو القادر أن يحكِّمنا للخلاص بالإيمان بيسوع المسيح.

كما لا يمكن أن نغفل إيمان الرسل بما أوحى به اللّٰه في العهد القديم، فنجد بطرس في عظة يوم الخمسين الشهيرة (أعمال ٢: ١٤-٣٦)؛ إذ يستند في افتتاحية عظته إلى نبوة يوئيل النبي:

"وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا".

وفي مواضع كثيرة من رسائل الرسول بولس والعبرانيين ورسالتي بطرس ورسائل يعقوب ويوحنا ويهوذا، نجد العهد القديم في كل سفر حاضرًا وشاهدًا لشخص المسيح.

وختامًا، إن العهد القديم ليس مجرد نصوص تاريخية قديمة، أو نصوصًا تشريعيَّةً، أو قوائم أنساب... بل هو إعلان إلهي يمهد الطريق لمجيء المسيح ويشهد عنه ويتنبأ به. من خلاله نفهم طبيعة اللّٰه، ونتأمل في وعده بفداء البشرية، ونرى إتمام النبوات في شخص يسوع المسيح. وكما أكد المسيح والرسل، فإن العهد القديم جزء لا يتجزأ من كلمة اللّٰه الحية، وهو مصدر للتعليم والتقويم. لذا علينا أن نتعمق في دراسته لنفهم أكثر عمق محبة اللّٰه وقصده من أجل خلاص الإنسان.